

تاريخ القبول: 2024/10/25

تاريخ الإرسال: 2024/03/05

تاريخ النشر: 2024/10/30

أفكار الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح حول المعجم العربي الحديث The thoughts of Professor Abd al-Rahman al-Haj Salih about the modern Arabic lexicon

د. عطاء الله بوخيرة¹

مركز البحث العلمي والتقني تطوير اللغة العربية - وحدة ورقلة- (الجزائر)،

¹attallahbokh@gmail.com

الملخص:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا البحث عبارة عن قراءة لأفكار الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله للمعجم العربي الحديث ومنهج وضعه، والوسائل والسبل الكفيلة التي تنتج لن معجماً حديثاً بمواصفات تقنية، وعصرية تعكس الاستعمال اليومي للغة العربية اليوم، من خلال مشروعه القومي الذخيرة العربية، أو الانترنت العربي الذي سيحل عديد المشاكل التي يمر بها معجمنا اليوم، من عدم الاستعمال الحقيقي للغة اليومية، ومشاكل تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد، ومشاكل إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، وقضايا الترتيب والتعريف في المعجم وغيرها من الأزمات التي هو واقع في اليوم المعجم العربي الحديث.

الكلمات المفتاحية: معجم حديث، ذخيرة عربية، استعمال حقيقي، عبد الرحمن

الحاج صالح، لغة فصحي.

Abstract:

This research is a reading of the ideas of Mr. Abd al-Rahman al-Haj Salih, may God have mercy on him, about the

modern Arabic dictionary and the methodology of its development, and the means and methods that guarantee that a modern dictionary with technical and modern specifications reflects the daily use of the Arabic language today, through his national project, the Arabic repertoire, or the Arab Internet that will replace The many problems that our dictionary is going through today, from the lack of real use of the daily language, the problems of the multiplicity of terms for one concept, the problems of completing the historical dictionary of the Arabic language, the issues of arrangement and definition in the dictionary and other crises that are a reality in today's modern Arabic dictionary.

Keywords: Modern dictionary, Arabic repertoire, real usage, ideas of Abd al-Rahman al-Haj Saleh, classical language.

المؤلف المرسل: د. عطالله بوخيرة، الإيميل: ATTALLAHBOKH@GMAIL.COM

1. مقدمة:

يتساءل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح عن عدم تقليد العرب للغرب في ميدان صناعة المعاجم، وهم الذين قلدهم في أغلب الأشياء سواء في مجال العلوم أو في غيرها، ويقتبسون الكثير من الأمور وغالبا حرفيا دون تمحيص أو غربة لما يقتبس، فالملاحظ للصناعة المعجمية الغربية هو اعتمادهم على الاستعمال الفعلي للغة سواء كان المعجم عاماً لألفاظ اللغة أو كان مختصاً بمجال معين، بالاعتماد على مدونة الاستعمال الحقيقي للغة وعلى أساس القواعد المتفق عليها في صناعة المعاجم، وللوصول إلى معرفة كثرة الاستعمال أو قلته في منطقة ما يعمد المعجمي لدراسة استعمال اللغة والمصطلحات عبر الأقاليم لمعرفة اطراد الاستعمال من قلته، ويكون هذا في معاجم اللهجات واللغات الإقليمية عندما تكون الدراسة آنية، أما

الدراسة التاريخية فتفرض المدونة المعجمية أن تغطي الاستعمال اللغوي لمدة سنوات أو قرون حسب تاريخية اللغة المدروسة؛ لأن عمله يدرس تطور المفردات لفظاً ومعنى في مختلف الأماكن والأقاليم.¹

من خلال مقولة الأستاذ يتضح أن المعجم العربي الحديث ليس بخير وأنه يحتاج إلى إعادة نظر في تأليفه وفي منهج وضعه، وفي المادة التي يعتمد عليها في تكوينه، وفي مصادره، وفي قضايا الترتيب والتعريف، وغيرها من الأمور التي تمس كنه المعجم، ويتضح من خلال الخلل الذي أصاب المعجم اليوم. فما الأفكار التي قدمها الأستاذ رحمه الله في المعجم الحديث ؟ وما السبيل إلى نهضته، وتبوءه المكانة التي كان عليها قديماً؟

2. منهج صناعة المعاجم الحديثة

إن أغلب واضعي وصانعي المعاجم اليوم يكتفون بالنقل من المعاجم القديمة، أو يورد فيه ما يعرفه هو من اللغة لا ما هو مستعمل حقيقي في الواقع وبذلك انتفى أهم شرط من شروط صناعة المعاجم، وهو أن يعكس المعجم الاستعمال الحقيقي للغة، وهذا الاستعمال ينبغي أن يكون محصوراً في مدونة يلجأ إليها المعجمي الذي يريد صناعة معجم ما في مجال معين أو معجم عام للغة، وتكون المرجع الأساسي لتأليف المعاجم، ولإنجاز المدونة ينبغي الاستعانة بالإمكانات الحاسوبية والرقمية لضخامة المدونة وتشعبها². لذلك فالمعاجم الحديثة غالباً مجرد إعادة صياغة للمعاجم القديمة كلسان العرب والقاموس المحيط وغيرها من المعاجم، ولا تختلف عنها إلا في القالب الجديد، أما الألفاظ والمداخل المشروحة ما هي إلا نفسها والمعاني هي نفسها، إلا ما جدّ من بعض المصطلحات العلمية الحديثة، أما المفردات والمعاني القديمة والتي لم تعد مستعملة اليوم فالمعاجم القديمة تغني عنها ولا ضرورة لإعادتها، بل ينبغي أن تعبر المعاجم الحديثة عن الواقع المستعمل من

اللغة، أو إعادة تكييف الألفاظ والمعاني القديمة مع الحياة اليومية الحديثة ومع ما استجد من مستجدات في العصر الحالي، فما ينبغي أن يضمّه المعجم اليوم هي الألفاظ المستعملة في التواصل اليومي الشفوي أو المكتوب والموضوعة للتبليغ.³

فالنظر في المعاجم اليوم يجد أغلبها تقليد لما سبقها بقرون وإيراد للألفاظ والشواهد التي أوردها صاحبوها التي كانت مستعملة في وقتهم ومداولة بشكل يومي، ولا تجد معجماً يحاول أن يكون بين دفتيه ما هو مستعمل حقيقي اليوم من ألفاظ ومفردات فصيحة تتداول في الحوارات الراقية والمجلات والصحف، وفي التعليم والمحاضرات، والخطب وغيرها من مواطن استعمال الفصحى اليوم. لكن في الوقت نفسه لا ينبغي إهمال ما ألف من معاجم قديمة وما حوته من ثروة لفظية يعتز بها، وضرورة تعميم استعمال ما جاء في تلك المعاجم على الأقل في مقامات استعمال الفصحى، لأن إهمالنا لتلك المعاجم وعدم إدراجها في الاستعمال اليومي وعدم نشره في نطاق واسع في الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والمدارس والجامعات وغيرها من التجمعات الشعبية هو ما جعلنا اليوم نشعر بغربة اتجاه تلك المفردات التي ألفت قبل قرون وأصبح معظمنا يجدها ألفاظ غريبة لا يفهم معناها ولا يفهم الشعر الجاهلي، ولا ما أتى بعدها ولا يفهم بعض آي القرآن، ولا الحديث النبوي الشريف، ولا ما ألف قديماً من كتب، نتيجة عدم استعمال ما جاء في المعاجم وتركها محنطة في أكفان لا يعود إليها إلا المختص عندما لا يفهم مفردة ما. وقد تطرق عبد الرحمن الحاج صالح إلى النقاط الهامة التي قدم فيها آرائه وما ينبغي أن تكون عليه في المعاجم الحديثة:

1.2 الترتيب:

الترتيب أحد ركائز المعجم وبه يميز عن غيره من المؤلفات الأخرى، ليسهل البحث فيه كونه يقدم تعريفات وشروحات لمداخل معجمية مترافقة لا يحتاج الباحث

لقراءتها كلها للحصول على مراده، بل يلجأ فقط للترتيب المعتمد في المعجم وينظر في الحرف الأول للكلمة أو في آخرها وما يليه للحصول على المدخل المطلوب بأسرع وقت، وقد اعتمدت أغلب المعاجم القديمة والحديثة على الترتيب الألفبائي التقليدي لجذور الكلمات دون الحروف المزينة، وقد قام بعض المحدثين بصناعة معاجم دون مراعاة للجذر اللغوي، بل اعتمدوا الكلمة كما هي بحروفها الأصلية والمزينة تقليدا في ذلك لبعض المعاجم الأوروبية، مثل المعجم العربي الذي نشرته مكتبة لاروس التابعة لدولة فرنسا، ولهذا الترتيب أقصد الترتيب الألفبائي دون مراعاة لجذر الكلمة ولحروفها الأصلية جانبان سلبي يتمثل في عدم التقريب بين الكلمة الأصل والكلمة المزينة أو المشتقة، وإغفال الجانب الصرفي للألفاظ، وتجاهل أهم خاصية للغة العربية وهي الاشتقاق والتوليد، أما الجانب الإيجابي فإنه لا يتمثل إلا في سهولة الوصول للمفردات داخل المعجم، وخاصة للطلاب الصغار الذين لم يتعلموا بعد علم الصرف، ولم يكتسبوا أساسيات التصريف والاشتقاق، ونفس الأمر بالنسبة للأجانب الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية وكبار السن في محو الأمية.⁴

الترتيب هو أحد أركان المعجم الأساسية وبه يسهل على الباحث في المعجم الوصول إلى المفردة التي يبتغي فهم معناه بسهولة ويسر وفي وقت قصير، وقد تعددت أنواعه ما بين ترتيب ألفبائي وترتيب موضوعي، والترتيب الألفبائي تنوع أيضا ما بين ترتيب صوتي للحروف، وترتيب هجائي أو أبجدي، وترتيب بحسب الحرف الأول أو الأخير، وكل هذه الأنواع درج فيها أصحابها على اعتماد جذر كلمة كأساس في الترتيب، لا اعتماد الكلمة بزيادتها وإنما تجريدتها من الزوائد، وقد لا حظ عبد الرحمن الحاج بعض المعاجم الحديثة قد خرجت على المألوف ورتبت معاجمها على أساس الكلمات كما هي دون مراعاة للحروف الأصلية مقلدة ما جاء في المعاجم الأوروبية، ولهذا الترتيب كما قال رحمه الله جانب إيجابي يتمثل في سهولة

العثور على الكلمات المزيدة بحروف بالنسبة لمن لم يدرك بعد أن الكلمة قد تلحقها بعض الحروف نتيجة الاشتقاق والتصريف، وخاصة التلاميذ في المراحل الأولى، والكبار الذين يتعلمون في مدارس محو الأمية، والأجانب الذين يرومون تعلم اللغة العربية في بدايات تعليمهم كمرحلة أولى.

والمعاجم المرتبة على أساس الكلمة كيفما كانت دون تجريدها من الزوائد وردها إلى الأصل والجذر اللغوي، اعتماد هذه الطريقة في صناعة المعاجم وتعميمها سيثوه اللغة العربية ويضرب في عمقها وفي أهم خصائصها، وسيخلط بين الأصل والفرع، وربما سيتمد الأمر إلى نسيان أصول الكلمات، وسيعيق خاصية العمق والتبحر في معاجمها، فمفردات اللغة العربية بنيت على أصول وصيغ ثابتة وتوسعت من تلك الصيغ والأصول العربية بفضل الاشتقاقات والتوليد، أضف إلى ذلك أن طريقة اكتساب وتعلم المفردات لا يكون إلا بمعرفة تلك الأصول وتلك الصيغ، وكيفية التصرف فيها بالزيادة والانتقال من مادة أصلية إلى أخرى دون تغيير في الصيغة وهذا من أسرار العربية.⁵ وقد كان على من ألف هذا النوع من المعاجم - على الأقل - أن يشير أو يبين أن الكلمة مشتقة من الأصل كذا وأن فيها حروفاً مزيدة، أو أنها منصرفة، فمثلاً في كلمة مكتبة يشير إلى أن حروفها الأصلية كتب، وأن الميم والتاء المربوطة حرفان مزيدان للاشتقاق، أو أن كلمة كتبوا مزيدة بحرفي الواو والألف لتصريفها مع ضمير الغائب هم.

2.2 اقتراحه في الترتيب:

اقترح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المحافظة على الترتيب القديم الذي يراعي أصول وجذور المفردات في الترتيب لكي لا تصاب اللغة العربية بالتشويه الخطير جرّاء عدم اعتماد الجذر وأصل الكلمة في ترتيبها داخل المعجم، مع إمكانية إدخال الترتيب الألفبائي لبعض الكلمات كما هي دون مراعاة لأصولها، وخاصة تلك

يشق على الباحث إرجاعها إلى أصلها وجذرها اللغوي بسبب عوامل صرفية كالحذف والإعلال أو الإبدال، والقلب المكاني، أو لأن اللفظ غير عربي دخيل، مثل: كُلْ، خذ، رَ، صيغة الأمر لأكل، أخذ، رأى، فتأتي في موضعها الاشتقاقي بحسب حروفها الأصلية، وفي مكان آخر بحسب حروفها الظاهرة وبإحالة من الموضع الألفبائي إلى الموضع الاشتقاقي والعكس⁶.

3.2 التعريف:

التعريف هو هدف المعجم وهو ما يريده مؤلف المعجم، حيث يبتغي إزالة الغموض والإيهام عن معاني الكلمات والمفردات، لذلك عني به محررو المعاجم القديمة عناية كبيرة، وقد كان الاستشهاد بدليل من كلام العرب والقرآن أو الحديث النبوي أحد أركان التعريف، وبه يختتم على ذلك المعنى ويوثق على استعماله فلا يشك في معناه ولا يخطأ، ويكون بمثابة صك ذاك المعنى المعين على تلك المفردة نتيجة استعماله في بعض الشواهد الموثوقة تجنباً لتحريف المعنى عنها كصك العملات تجنباً لتزويرها.

ونظراً لتطور العلوم والتكنولوجيا وتفرعها وانتشارها على نطاق واسع، أصبح التدقيق في التعريف عند المحدثين ضرورة ملحة، وعلى جانب كبير من الدقة والاهتمام، حيث ينبغي أن يكون التعريف محدداً ودقيقاً في شرح المصطلحات والمفاهيم العلمية، كونها مصطلحات مضبوطة تحتاج لتعريف مضبوط ودقيق يصف المصطلح بدقة وشمولية ولا يتداخل مع غيره من المصطلحات العلمية الأخرى، ومثل ذلك نجده في المعجم لوسيط الذي نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعجم العربي الأساسي الذي نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، هذه الدقة في التعريف لا نجدها في المعاجم القديمة، إما لكونها معاجم عامة غير مختصة بمجال معين، أو لأن أصحابها لم يكونوا على دراية تامة بالتعريف المضبوط لتلك المسميات،

وخاصة في تحديد أسماء الحيوانات والنباتات وأسماء الملابس، فنجدهم يقولون: (ضرب من الحيوان، ضرب من النبات، أو اللباس)⁷.

ولتوضيح التعريف يحتاج المعجمي لإيراد مثال أو شاهد، وقد اهتم اللغويون القدامى كثيرا بمسألة إيراد الشواهد في المعجم لتوضيح المعاني وتوثيقها، وقد كانت شواهدهم وأمثلتهم مأخوذة من الواقع المعاش، والاستعمال الحقيقي في زمانهم، وكانت أغلبها من الشعر والنثر والأمثال والقرآن الكريم الذي هو صالح لكل زمان والأحاديث النبوية الشريفة كذلك، أي ما كان مستعملا ومتداولاً بينهم في أحاديثهم اليومية، وكان النصيب الأكبر للشعر لذبوعه وانتشاره بينهم كثيرا في جزيرة العرب، وهاته الشواهد يحول بها المعجمي البرهنة على صحة ما يقوله أو يوضحه في تعريفه لمداخل المعجم، فبدونه يفقد التعريف المصادقية والإثبات، فالمثال أو الشاهد قديما كان عبارة عن دليل لثبوت الكلمة في الاستعمال بمعانيها في ذاك الزمن، أما في وقتنا الحالي فيحتاج المعجمي لإيراد المثال أو الشاهد لتوضيح المعنى بطريقة ناجعة وسديدة، وقد تكون كثير من الأمثلة والشواهد التي يوردها غير مستعملة حديثا، لكنه يضمنها معجمه لعدم وجود البديل في وقتنا الحالي، أو لأن الكلمة لم تعد مستعملة اليوم، فالفرق بين لغويي الأمس ولغويي اليوم هو في اعتماد الشاهد المستعمل من غير المستعمل، فالأولون كانوا حريصين على اعتماد الشواهد المستعملة في حياتهم وفي أشعارهم وكتبهم، وكانوا يستعينون بها لتوضيح المعاني الشائعة بينهم، أو تقديم دليل على درجة شيوع تلك الألفاظ وتلك المعاني، أما حال اليوم فلا ينظر في الشاهد على أنه يبين مدى شيوع الكلمة، بل يورد للتوضيح فقط.⁸

لذلك من الضروري الاعتماد على الاستعمال الحقيقي في صناعة المعاجم، واعتماد بيان درجة شيوع الألفاظ وعدم شيوعها، من خلال إدراج معاني معينة تثبت درجة الاستعمال، ولترقية العربية لا بدا من استثمار الاستعمال الحقيقي للغة في

البحوث اللغوية كونه أصل من أصولها، ولا يتم إلا به، ولصناعة معجم ما لا بدا من استغلال كافة النصوص المستعملة اليوم المكتوبة والمنطوقة، من بحوث ودراسات، ومقالات علمية وأدبية، وخطابات مسجلة وحوارات، وكتب وغيرها من الأعمال المشاعة بين الناس والمتداولة بينهم، فصانع المعجم عليه ألا يعتمد على ما يعرفه هو، أو على ما ألف قلبه من المعاجم، بل عليه اعتماد الاستعمال الحقيقي الفعلي، وإلا لم يكن معجمه معبرا على حال اليوم بل على أحوال مضت.⁹ ثم إن أكثر المعاجم العامة التي ظهرت في هذه الفترة كانت زيادة على ذلك لا تتعرض إلى اللغة المعاصرة، أي المولد من الألفاظ. إلا قليلا مع أن هذا المولد قد يكون وضع على قياس كلام العرب مثل السيارة والطيار والباخرة والقطار وغير ذلك وقد دخل ذلك في الاستعمال وشاع شيوعا واسعا وأخص بالذكر المولد العفوي الذي وضعه أفراد الشعب للضرورة الملحة¹⁰.

إنّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله يؤكد في كل مرة على ضرورة اعتماد الاستعمال الحقيقي، ولا أعتقد هنا أن الدكتور يعمم بقوله كل استعمال يشيع اليوم، بل الاقتصار يكون على الاستعمال الفصيح الخالي من الأخطاء والتحريف والغير المرغوب، والاستعمال العامي الرطين المختلط باللغات الأجنبية والغير مراعي لقواعد اللغة العربية؛ لأن ذلك لو اعتمد سيشوه لغتنا العربية، وستدخل تلك اللغة البغيضة معاجمنا وكتاباتنا بعد أن كانت منحصرة في الشوارع والأسواق والبيوت وتعتمد في مدارسنا، وهذا خطر كبير، بل الاستعمال الحقيقي هو ما يتداول في المجالات العلمية والمقالات والبحوث المعاصرة، ووسائل الإعلام التي تحترم لغتها، وما يؤلف من مراجع وكتب اليوم، وغيرها من مواطن الاستعمال الحقيقي للغة العربية يستشهد به على معاني المفردات والمصطلحات العلمية، تقريبا للمفاهيم وتحسينا

لها، فتعريف كلمة طائرة مثلا يستشهد لها بأمثلة ممن كتب العلوم، والمجلات التي تعنتي بالمجال، وما يرد في وسائل الإعلام من أشرطة ووثائقيات خاصة بها.

3. اقتراحه في مصادر المعجم-قواعد المعطيات النصية كمرجع في تأليف المعاجم-

ولضخامة الإنتاج المكتوب والمنطوق قد يحار المعجمي في كيف له أن يتعامل كل هذا الإنتاج، وكيف يختار منه الكلمات الدالة على المعاني التي يرومها، ولذلك يجب إدخال التقنية والحاسوب في عملية التأليف لما يوفره من سرعة البحث وقدرة التخزين الهائلة، فهذه الوسائل يمكن من خلالها تدوين النصوص المستعملة للغة العربية الفصحى المعاصرة، وفي هذا الشأن قد اقترح الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح المشروع القومي للذخيرة اللغوية العربية، وهو بمثابة قاعدة من المعطيات النصية، أو بنك آلي من المعطيات النصية يكون متاحا على شبكة الانترنت يعمل فيه على جمع الاستعمال الحقيقي من أقدم العصور إلى العصر الحالي، وذلك بإدخال كافة النصوص المدونة من معاجم وكتب في الذخيرة، وتحويل الخطابات المسجلة والحوارات والكلام المنطوق إلى نصوص تدرج هي أيضا في الذخيرة، ويصبح من خلالها البحث عن أي مفردة بمعانيها المستعملة سهلا ويسيرا، وفي وقت وجيز، ويمكن من معرفة درجة الشيوع والاستعمال وكثرة تداوله على الألسنة، ويمكن معرفة المعاني والكلمات المستعملة في حيز جغرافي ما، والمقارنة بين الأقاليم الجغرافية من حيث الاستعمال، وكذا معرفتها في عصر من العصور وتتبعها تاريخيا، ومعرفتها بحسب الطبقات الاجتماعية، وفي أي طبقة نجد تداولها أكثر، ومن خلال حوسبة النصوص يمكن المقارنة بين الأساليب بين الكتاب والأدباء، ويمكن إحصاء درجة تواتر الألفاظ والمعاني في كل عصر من العصور التاريخية، وعلى هذا يمكن أن تؤلف الأنواع الكثيرة من المعاجم¹¹.

إنّ اقتراح الدكتور رحمه الله سيحدث ثورة في تصنيف المعاجم لو تم إنجاز مشروع الذخيرة العربية صاحب فكرتها، وسيجمع لنا مصادر المعاجم في مكان واحد على اختلاف موضوعاتها، وضخامتها، سيكون من السهل وبضغطة زر واحدة استخراج جميع الاستعمالات المعينة لمفردة معينة من أقدم العصور إلى يومنا هذا، وتكون متاحة لجميع مستعملي الانترنت ، فيكون من السهل إنجاز أي بحث في أي ميدان، وخاصة في ميدان العلوم الإنسانية، وتقضي بذلك على ندرة المراجع التي يعاني منها الباحث في إنجاز بحثه، وبها يؤلف العديد من المعاجم سواء كانت عامة أو خاصة، معاجم مواضيع أو معاجم ألفاظ، معاجم المصطلحات، معاجم مدرسية، معاجم تاريخية، معاجم تأصيلية تأثيلية ، معاجم العلوم، ولن تكون صناعة المعاجم صعبة كما هي اليوم؛ لأن أصعب ما يدخل في صناعة المعاجم اليوم هو جمع المادة للمعجم، فإذا كانت المادة موجودة في مكان واحد، ويسهل العثور عليه وفي وقت قياسي، لن يجد صانع المعجم مهما كان نوعه من عسر أمر في صناعته وتأليفه، وسيقدم لنا في إيراد المعاني الاستعمال الحقيقي والتاريخي من خلال الشواهد الموثقة في نصوص الذخيرة، ويقدم لنا إحصاءات دقيقة بشأن الاستعمال زمنيًا ومكانيًا، ودرجة تواتر الألفاظ بين فئات المجتمع، وغيرها من الفوائد التي ستقدمها هاته الذخيرة.

4. المعجم الخاص بالطفل العربي

التأليف في المعاجم المدرسية أو المعاجم الخاصة بالأطفال موجودة في العصر الحديث، إلا أن أغلبها اعتمدت على المعاجم القديمة وتقلت منها كثير من المواد والمداخل في شكل اختصار وتقليص لما جاء في المعاجم القديمة ليكون المعجم المدرسي متوسط أو صغير الحجم، ليسهل على الطلاب في المراحل الدراسية الأساسية الاعتماد عليه في دراستهم، مع إضافة بعض المفاهيم

والمصطلحات العلمية، والآلات المخترعة حديثاً التي لم تكن موجودة قديماً، وخلاصة القول أن المعاجم المدرسية الحالية لم تخضع للمقاييس العلمية التي يجب الاعتماد عليها في هذا الميدان، وأهمها الاعتماد على الاستعمال الحقيقي الذي يحتاجه الطلاب، ولا يكون ذلك إلا بجرد النصوص المكتوبة والمنطوقة الفصيحة، وترك الذاتية والاعتماد على النفس في تحرير المعاجم، وعدم اختيار المعاني والمفردات الشائعة والمتداولة بين الطلاب، وترك ذلك للعشوائية والتلقائية في الانتقاء والاعتماد على النفس والمعرفة الشخصية في اختيار الشائع من غيره دونما رجوع لمقاييس الاختيار، أو لمدونة تجمع المستعمل تكون مرجعاً لصناعة أي معجم مدرسي عربي.¹²

يرى الأستاذ أن ما ألف من معاجم الأطفال في اللسان العربي لا يعدو كونه تقليد ما سبق من معاجم وإن كانت غير مخصصة للأطفال، فلم يعرف عن العرب أنهم ألفوا معاجم خاصة بمرحلة معينة السن، وإن كان قصدهم لتأليف المعاجم كان تعليم من كانوا في مرحلة التعليم إلا أن عقل من كان في ذلك الوقت وأن كان سنه صغيراً ربما لا يتعدى العشر سنوات عقل راشد اليوم أو لا يقارن فهم كانوا أصحاب عقول فذة وهم صلبة فلا يعجزهم حتى حفظ المعجم بأكمله ناهيك عن البحث فيه، إلا أن أصحابنا اليوم حاولوا تقليد المعاجم القديمة ونسخ بعض ما فيها وتقديمها للطفل اليوم، فكيف يفهمها وقد عجز من هم أكبر سناً وعقلاً من فهمها، كما أن الطفل العربي لا يجد ما نص عليه في المعجم الخاص به في حياته اليومية، فحينها لا يكون المعجم ذا فائدة له لانقطاع الصلة بين ما هو مستعمل اليوم وما هو موجود مدون في المعجم لعدة أسباب وطول زمن انقطاعها عنا بقرون، لكن إرجاعها للتداول ليس بالأمر الصعب لو كانت هناك إرادة جماعية حقيقة ولن تكون بين عشية أو ضحاها بل يلزم وقت كبير يصل إلى أجيال وقرون.

والملاحظ في كل ما سلف أن الأستاذ "عبد الرحمن الحاج صالح" ركّز كثيراً على ميدان الاستعمال على أن يكون استعمالاً حقيقياً، ويعتبر ذلك مقياساً حقيقياً لصناعة المعاجم المدرسية؛ وقياساً على ما يجب اعتماده من الثروة المفرداتية المناسبة لكل فئة عمرية؛ كسبيل لإصلاح الملكة عند المتعلم بله المعلم فإن ذلك سينعكس إيجاباً على ما سيكون عليه حال المعجم المعتمد في المدرسة، فلا خير في معجم يحوي بين دفتيه من المصطلحات ما لا يناسب ما يستعمله الناشئة في حياتهم اليومية¹³.

إن المادة اللغوية التي يجب أن تقدم للطفل العربي في مدارسنا، كانت الشغل الشاغل في أوساط التربويين وعلماء اللغة من حيث الكم والنوع، لذلك نجد محاولة بعض العلماء في المغرب العربي إنجاز مشروع الرصيد اللغوي الوظيفي، وكان ذلك في أواخر السبعينيات لملاحظتهم أن ما يقدم للطفل العربي في المدارس لا يخلو من الإفراط والتفريط في تقديم المادة اللغوية كمّاً ونوعاً، فالإفراط بحشو المقررات المدرسية بالكثير من المفردات في الصف الواحد، وحشو ذهن التلميذ بما لا يتلاءم مع صغر سنه ولا ما يحتاجه من مفردات وتعبير في صفه، والتفريط من جهة الإقلال من الألفاظ والمفردات التي هو بحاجة إليها، والتي تعبر عن حياته اليومية وتصف له الواقع اليومي المعاش، وخاصة ما استحدث من ألفاظ فرضها الاستخدام اليومي، لذلك نتيجة لهذا قد تبدو المدرسة بالنسبة للطفل العربي مكان غريب لا يعبر عن الواقع الذي يعيشه، بل يعبر له عن واقع غير معاش قد يكون خيالياً، أو حدث في أزمان غابرة، لذلك حدد أصحاب هذا المشروع فكرة الرصيد اللغوي الوظيفي واعتبروا: «إن الرصيد من اللغة التي يجب أن يعلم للطفل هو مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليها التلميذ في سن معينة من عمره حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري

في التخاطب اليومي من جهة؛ ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة، واعتمدوا في استخراج هذا المعجم على هذه المبادئ:

- 1- ينبغي أن ينطلق من الواقع المشاهد ومن رصد هذا الواقع .
- 2- أن يكون المنطلق المعني بالأمر وهو المتعلم نفسه، ينطلق من اهتماماته وما يحتاج إليه بالفعل لمواجهة الحياة لا لإلقاء الخطب وقرض الشعر فقط.
- 3- ألا يتجاوز الرصيد الحد الأقصى الذي يستطيع الطفل أن يكتسبه، وألا يقل عما يجب أن يعرفه¹⁴.

وقد لاحظ الأستاذ عيوباً ونقائص هذه الحصيصة لا يكاد يتصورها المربي فمن حيث الكم تقدم للطفل غالباً كمية كبيرة جداً من العناصر اللغوية لا يمكن بحال من الأحوال أن يأتي على جميعها ولذلك تصيبه ما نسميه بالتخمّة اللغوية¹⁵

وقد تم استخراج الرصيد اللغوي الوظيفي من الكتب المدرسية، وأخذ عينة من كتابات التلاميذ في التعابير الكتابية وغيرها، وعينة من الكلام المنطوق بينهم، مما يتداولون به في مخاطباتهم اليومية مع الكبار والصغار، تلك كانت ثلاثة معطيات تم اعتمادها في استخراج الرصيد بحد ما يكون فيها من مفردات متداولة وضبط تداولها وانتشارها بينهم، ونتيجة لهذا الإحصاء وقفوا على اهتمامات الطفل وما يكون في لغته من فصيح وغيره، ومن كلام عربي وأعجمي، وتم الاعتماد على آلات التسجيل الصوتي، حيث تم تسجيل عينات كلام الطفل المغربي من كل البلدان المغربية في المدن والأرياف، وتفرغ التسجيلات الصوتية في الحاسوب وإحصائها، ثم اختيار الألفاظ المتداولة والشائعة بين الأطفال، أما فيما يخص المسميات الحديثة والتي غالباً ما تكون غير عربية اضطروا لوضع ألفاظ عربية تدل عليها، أو تعميم لفظ فصيح في بلد واحد، أو ناحية واحدة من بلد ما، وقد وضع هذا الرصيد أولاً في

المغرب العربي ثم عمم على الوطن العربي، حيث وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم رصيда ماثلا وبنفس الطريقة¹⁶.

5. المعجم التاريخي للغة العربية ومشروع الذخيرة العربية

حاول المستشرق الألماني فيشر أن يصنع معجماً تاريخياً للغة العربية يؤرخ فيه للألفاظ والمعاني عبر العصور التاريخية، ومحاولاً إثبات الأصل من الفرع، والكلمات الدخيلة والأجنبية المعربة ذات الأصول الأجنبية، والتأريخ لأول استعمال لها من خلال استحضار الشواهد الدالة على إثبات ذلك، وذكر المرجع، والتأريخ لخروج استعمالها وعدم تداولها وموتها بين الناس، وقد سبق هذا العمل إليه الغربيون الأوروبيون بعدما ازدهر عندهم ما يسمى باللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر، وقد حاول فيشر تطبيق هذا المنهج الغربي على اللغة العربية، لكن مثل هذا الجهد يحتاج لجيش من الباحثين، ولا يقدر فرد واحد إنجاز هذا العمل الضخم، فما أنجزه فيشر هي محاولة أولى محدودة، لم تتجاوز الأحرف الأبجدية الأولى، فجرد الملايين من النصوص وتحرير الجزازات يحتاج لعشرات من الباحثين وإلى العمل الجماعي، والاستعانة بالحاسوب وأجهزة القراءة الآلية للكتب، وبرمجيات حاسوبية خاصة، لذلك فالذخيرة اللغوية العربية مهمة جداً في إنجاز هذا العمل، لأنها بمثابة قاعدة معطيات نصية تسهل وتسرع العمل على إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية¹⁷.

هذا ولا أتصور أن يقوم أحداً أو جماعة منا بإنجاز معجم تاريخي للغة العربية دون أن يلجا إلى قاعدة محوسبة من المعطيات لأن الذي يرمي إليه هذا المعجم في الأساس، هو الكشف بالنسبة لكل مفردة عن تطور معانيها عبر الزمان وفي كل أنحاء الوطن العربي، واكتشاف المعنى لا يمكن أن يكتفى فيه باللجوء إلى المعاجم القديمة على الإطلاق، فإن السياقات كما هو معروف هي التي تحدد وحدها معنى اللفظة الواحدة أو معانيها المتزامنة أو الطارئة عبر الزمان في النص الواحد أو

أكثر من نص كما أن هناك مناهج خاصة لتحليل النصوص لاستخراج المعاني ومن وراء المعاني الأغراض الحقيقية لمستعملي اللغة في هذه النصوص فهذه الطريقة العلمية¹⁸. فالوظيفة الأساسية للمعاجم هي أن تعكس ما يحدث في المجتمع من تطور، وذلك بإدراج المفردات الجديدة المعبرة عن ذلك التطور في متونها، تلك المفردات التي استقرت في الاستعمال وشاعت¹⁹

والذي قاله الأستاذ رحمه الله ماثل أمام أعيننا اليوم فقد عجزت الدول العربية متحدة ممثلة في إتحاد المجامع العربية من إنجاز معجم تاريخي للغة العربية لضخامة العمل وضخامة التراث العربي الذي كثير منه ليس محوسب، بل الكثير منه مزال مخطوطا لم يحقق ولم يدرس، فأى محاولة لإنجاز معجم تاريخي دون حوسبة التراث العربي محاولة ناقصة، وليست مكتملة، وما أنجز اليوم من أجزاء أولى لمعاجم تاريخية هي معتمدة فقط على ما هو مدون في ذاكرة الحاسوب، أي أن ما ألف ليس محيط بكل التراث العربي من كتب ومؤلفات على مرّ العصور، وكل ما أدخل حديثا وحوسب ينبغي على المعجم التاريخي أن يراعيه وبذلك سيكون المعجم في كل مرة مفتوح على استجد وينبغي تحيينه وعدم اعتماد ما طبع منه كنسخة نهائية لأنه لم يعتمد على كل التراث العربي بل على جزء منه فقط.

6. معاجم المعاني

هي معاجم موضوعات مرتبة بحسب كل موضوع، وليست على الترتيب الألفبائي كما هو الحال بالنسبة للمعاجم اللغوية، لذلك يرى الدكتور الحاج صالح في هذا المقام إعادة ترتيب تلك المعاجم على أساس الترتيب الألفبائي، وذلك بإضافة فهارس في آخر تلك المعاجم تكون متنوعة أحدها للمعاني والأخرى لكل الألفاظ التي وردت فيها مرتبة ترتيباً ألفبائياً ليسهل العثور عليها في المعجم، هذا ولا مانع من أن نقوم في زماننا بمثل ما قام به هؤلاء العلماء بالاعتماد على قاعدة المعطيات النصية

(الذخيرة) إلا أنه يجب أن تنتهج في ذلك النهج السليم الذي اتبعه العلماء الغربيون فيما أسموه بـ Dictionnaire analogique وهو مفيد جداً (مع احترام خصائص العربية)؛ وما نشرته شركة Duden وما ألفه الدكتور Corbeil في الكندا. وتدخل في هذا الصنف من المعاجم أيضاً معاجم خاصة بالمتراجمات والأضداد؛ وهو أيضاً مفيد²⁰.

إن فكرة الأستاذ رحمه الله مفيدة جداً بالنسبة لمعاجم الموضوعات أو المعاني، فهذه المعاجم يلجأ إليها من يريد مجموعة ألفاظ خاصة بمعنى معين، أو حقل ما ، ويمكن أن يلجأ إليها الجانب الآخر من يريد العثور على الكلمة بسهولة ويسر ووقت قصير - على حسب الأستاذ- بأن ترتب ألفاظ حقل معين أو موضوع معين حسب الترتيب الأبجدي، ولا تورد عشوائياً هكذا دون ترتيب، لأن من يبحث عن اسم صوت حيوان معين مثلاً فيجب عليه أن يقرأ موضوع أصوات الحيوانات كلها ، حتى يلفي مراده، لكن إذا كانت مرتبة أبجائياً تلك الأصوات فليس عليه إلا أن ينظر في الحرف الأول الذي يبدأ الصوت.

7. خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن استخلاص النتائج التالية:

- قدم الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح رحمه جملة من الأفكار النيرة حول المعجم العربي الحديث ومنهجه وضعه، وهي أفكار تتلاءم وروح العصر ما يتطلبه من تكنولوجيا وتقنية معاصرة.

- يرى الأستاذ أن أغلب مؤلفي المعاجم الحديثة قد اعتمدوا على التقليد، وأخذوا من المعاجم القديمة وأضافوا إليها بعض الحديث دونما بحث في الاستعمال الحقيقي، واستقصاء لما هو مستعمل في الحاضر.

-قدم اقتراحات لما ينبغي أن يكون عليه الترتيب والتعريف في المعجم الحديث، حيث إنه لا ينبغي ترك الاعتماد على الترتيب بالاعتماد على الحروف الأصلية للكلمة، لأنه أساس العربية وسر من أسرارها، ويمكن اعتماد الترتيب على أساس الكلمات دون مراعاة لحروفها الأصلية بالنسبة للمراحل العمرية الأولى في التعليم وللأجانب - أما التعريف فقد حث على ضرورة اعتماد الاستعمال الحقيقي للفصحى، وتوثيق دلالات الألفاظ بما هو شائع اليوم من استعمال.

- كما كانت له آراء بخصوص معجم الطفل العربي، والمعجم التاريخي للغة العربية ، ومعاجم المعاني ، والمعاجم العلمية والتكنولوجية، واجتمع له الرأي بضرورة إنجاز مشروع الذخيرة العربية أو ما يسمى بالانترنت العربي لإنجاز حقيقي لتلك المعاجم والاستفادة منها.

-ضرورة قراءة أفكار الأستاذ عبد الرحمن الحاج قراءة متبصرة لفهم ما كان يرمي إليه، واعتماد أفكاره كمرجع أساسي في البحث اللغوي المعاصر .
-تبني أفكار الأستاذ اللسانية واعتمادها كمشاريع بحث في الجامعات ومراكز البحوث.

-الشروع الفعلي في إنجاز مشروع الذخيرة العربية، وتكاتف الجهود من أجل تحقيقها على أرض الواقع، وتقديم مقترحات للسلطات العليا من أجل تمويل هذا المشروع الضخم.

-ضرورة اعتماد أفكاره المعجمية لمن يروم صناعة معجم وفق آليات حديثة بعيدا عن التقليد، ومغلبا الاستعمال الحقيقي للفصحى اليوم ليعكس المعجم ما هو موجود في الواقع اليوم لا ما كان بالأمس فقط.

الهوامش:

- ¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 01، العدد 01، ص16
- ² - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، موفم للنشر، الجزائر 2012، ص116
- ³ - محفوظ ذهبي، أسس صناعة المعاجم من منظور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة مقابسات في اللغة والأدب، مجلد 02، العدد 02 ديسمبر 2020، ص114
- ⁴ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، ص117
- ⁵ - المصدر نفسه، ص117
- ⁶ - المصدر السابق، ص117
- ⁷ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، ص117-118
- ⁸ - المصدر السابق، ص118
- ⁹ - المصدر نفسه، ص118
- ¹⁰ - عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، المجلد 01، العدد 01، ص13
- ¹¹ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، ص119
- ¹² - المصدر السابق، ص119-120
- ¹³ - أحمد قبور، أسس صناعة المعجم في ضوء الفكر اللساني للعلامة عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم المدرسي نموذجاً، مجلة العربية، المجلد 005، العدد 11، ص185
- ¹⁴ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، ص120
- ¹⁵ - خيرة بلجيلالي، إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح في ترقية اللغة العربية، مجلة حوليات التراث، العدد 17، 2017، ص68
- ¹⁶ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، ص121
- ¹⁷ - المصدر نفسه، ص121-122
- ¹⁸ - المصدر السابق، ص122
- ¹⁹ - معبود جويذة، الاستعمال ودوره في وضع المعاجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية والتطبيق، مجلة اللسانيات، المجلد 26، العدد 02، ديسمبر 2020، ص88
- ²⁰ - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، ص122-123